(7)

هل يقول سيد قطب بوحدة الوجود ؟

قال الفاضل جمال :

الحقيقة أن سيد قطب لم يكن مطلعاً على علم الكلام ، بالتالي انتُقدت عليه عبارات في تفسيره ،

و لنأخذ المثال التالي :

قال في تفسيره لسورة الإخلاص : (﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ **وهو لفظ أدق من لفظ " واحد "، لأنه يضيف إلى معنى " واحد " أن لا شيء غيره معه . وأن ليس كمثله شيء.**

إنها أحدية الوجود . . فليس هناك حقيقة إلا حقيقته . وليس هناك وجود حقيقي إلا وجوده . وكل موجود آخر فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية.

وهي -من ثم- أحدية الفاعلية . فليس سواه فاعلاً لشيء، أو فاعلاً في شيء، في هذا أصلاً .

وهذه عقيدة في الضمير وتفسير للوجود أيضاً ..

فإذا استقر هذا التفسير، ووضح هذا التصور، خلص القلب من كل غاشية ومن كل شائبة، ومن كل تعلق بغير هذه اللذات الواحدة المتفردة بحقيقة الوجود وحقيقة الفاعلية. خلص من التعلق بشيء من أشياء هذا الوجود .إن لم يخلص من الشعور بوجود شيء من الأشياء أصلاً ! .فلا حقيقة لوجود إلا ذلك الوجود الإلهي . ولا حقيقة لفاعلية الإرادة الإلهية . فعلام يتعلق القلب بما لا حقيقة لوجوده ولا لفاعليته)[1]

لاحظوا قوله: " إنها أحدية الوجود . . فليس هناك حقيقة إلا حقيقته . **وليس هناك وجود حقيقي إلا وجوده** . وكل موجود آخر فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية"

إنه خلط بين نظرية " وحدة الوجود" ونظرية " الحلول" أو الاستمداد الإلهي .

أنا لا اتهمه بالتعمد أو القصد ، إنما اتهمه بعدم اتقان فن علم الكلام –فن الحجاج عن العقائد – والذي فيه كل كلمة لها معنى .

[1] - سيد قطب – في ظلال القرآن : 4002/6 . دار الشروق ، ط32 ، 2003 .

انظر معي إلى عدم اطلاعه على الفرق الهائل بين كلمتي أحد و واحد :

" **أحد** " معناها غير المركب من أجزاء .

" **واحد** " معناها أنه المتصف بالوحدانية ، فلا إله معه .

ومع هذا فهو باستشهاده يساوي مليوناً من المسلمين .

فأجاب فضيلة الشيخ سعيد – حفظه الله – :

أنا لا أعتقد أن سيد قطب رحمه الله تعالى يقول بوحدة الوجود ، غاية الأمر أنه استعمل كلمات موهِمة لكونه يتبع في ذلك **أسلوبه كأديب يكثر فيه من المجازات والكنايات** إيقاعاً للمعاني في النفوس بقوة . نعم كان ينبغي أن يحْذَر في استعمال بعض العبارات والكلمات . ولكن يوجد مواضع أخرى في كتابه تنفي قوله بوحدة الوجود المذمومة .

ووحدة الوجود الحقيقية وهي القائمة على اعتقاد أن : **لا وجود إلا الله تعالى على الحقيقة ، وأن الموجودات عبارة عن نسب وتعلقات** يسمونها مظاهر للذات الإلهية ، فلا قيمة لهذا الكلام . وقد وضحت ذلك في عدة كتب ومقالات .

أما المعنى الذي يشير إليه الأخ الفاضل –وإن سماه بوحدة الوجود– فلا أحسبه إلا قاصداً وحدة الشهود وخلاصته : **ألا يغيب الخالق عن نظر قلبك حال ملاحظتك المخلوقات** ، لئلا تحسبها مستقلة في وجودها بلا استمداد من الله تعالى . فهذا هو وحدة الشهود ، وهو مطلب كبير لا يصل إليه إلا المخلصون، وقليل منهم يدوم عليه لما يحتاج إليه من جهد وتوفيق .

والمخلوقات لها وجود حقيقي، ولكن هذا الوجود لا يستغني بنفسه ولا يستقل عن تعلق القدرة الإلهية به، وهو المسمى في لغة القوم بالإمداد ، فيجب إثبات ثلاثة: **مُمِدٌّ ومستَمِّد وإمداد** أو مَدَد، وهو المقصود بالتعلق في كلام المتكلمين. وظاهر أن الإمداد مجرد نسبة عدمية .

والمُمِدّ غير المستَمِّد . ووجود المخلوقات غير وجود الله تعالى، وليست عبارة عن مجرد مظاهر ونسب اعتبارية قائمة بذات الله تعالى كما يقول أهل وحدة الوجود ، بحيث يتضمن ذلك عدم وجود غير الله تعالى على الحقيقة لا في مجرد المشاهدة والملاحظة .

وهذا مبحث دقيق ربما نتكلم عليه شارحين إياه زيادة في التوضيح لاحقا ، لئلا يغتر البعض بما يجدونه من كلمات تصدر من بعض الناس .

والله الموفق .